

المحاضرة الأولى:

مدخل عام لنظريات التنظيم

تمهيد:

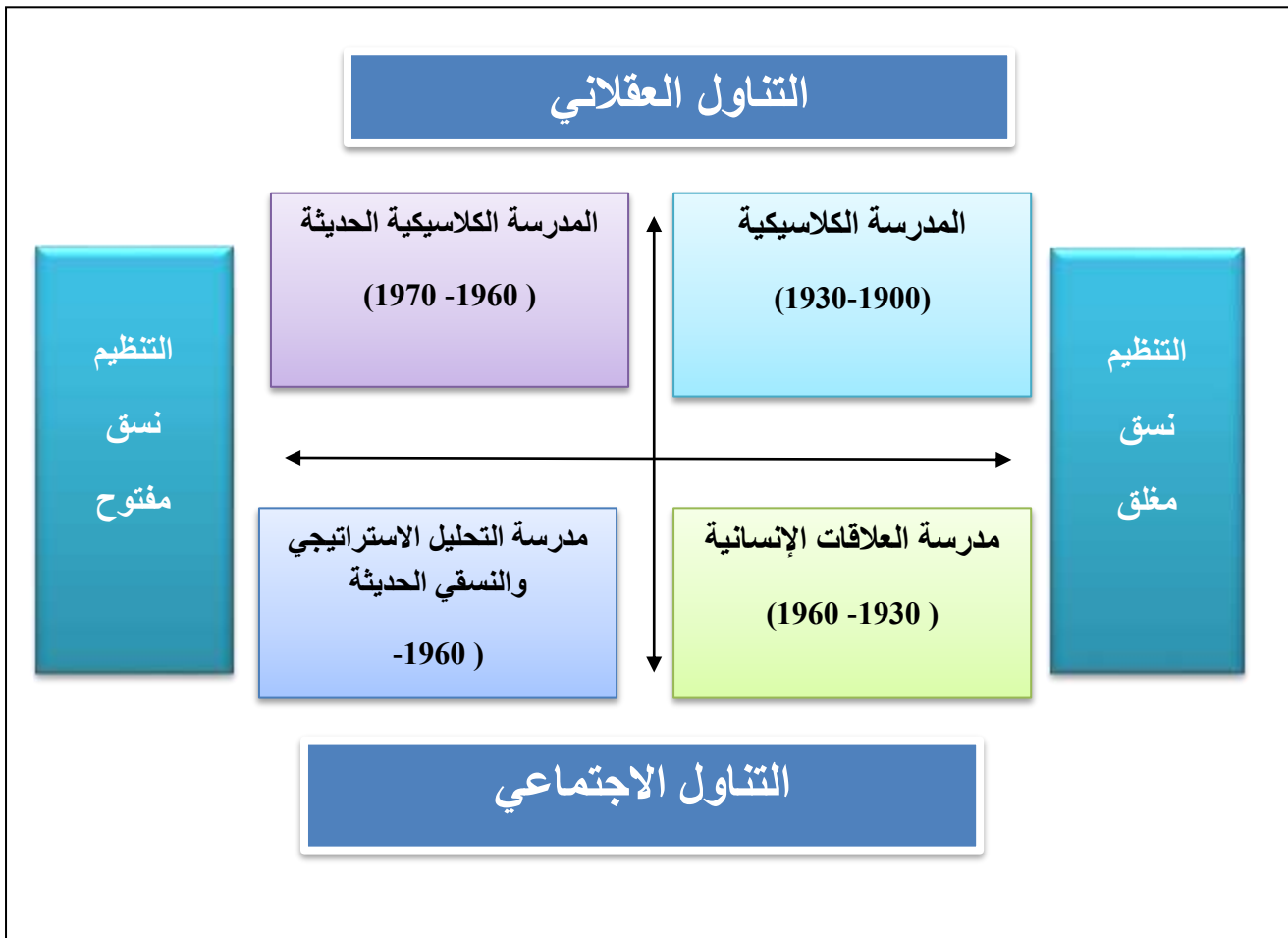
إن الاهتمام بمشكلات التنظيم في العلوم الإدارية أو في علم الاجتماع لم يكن وليد الصدفة ، بل كان ضرورة وحتمية أملت لها الثورة الصناعية بنشأة المؤسسات الصناعية الأولى التي واجهت العديد من المشكلات الإدارية والتنظيمية.

وقد أدى ذلك إلى ظهور اجتهادات كثيرة بهذا الصدد ترمي إلى إيجاد الحلول الناجعة وذلك بدلالة زيادة الإنتاجية من جهة وزيادة القدرة التنافسية والبقاء في السوق من جهة أخرى. إن النمو الاقتصادي الذي شهدته أوروبا أولا ثم الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن التاسع عشر قد صاحبه اجتهادات كبيرة لرواد النظرية في التنظيم خاصة تلك التي ارتبطت بالتركيز على العنصر الإنساني ودوره في زيادة الإنتاجية، حيث تناولت هذه النظريات الدوافع والحاجات وجماعات العمل...والتي تعتبر مرتكزات انطلقت منها النظريات اللاحقة.

إن تعاقب المدارس الفكرية لتحليل المشكلات التنظيمية لم يكن ثابتا في السرد في كتابات الرواد والمنظرين من حيث الكرونولوجيا، ولهذا سنعرض فيما يلي مخططا قدمه ريتشارد سكوت (1978). فدراسة السلوك الإنساني في إطار المنظمات الصناعية قد كونت فروعاً مستقلة في العلوم الاجتماعية والإدارية كعلم الاجتماع الصناعي وعلم النفس الصناعي وعلم الإدارة والتسيير، ولعل أهم ما كان يشد اهتمام الباحثين آنذاك هو دراسة السلوك الفردي والجماعي من خلال تأثيره على الإنتاج والإنتاجية لينتقل بعيد ذلك إلى الاهتمام بالأطر التنظيمية كهيكل السلطة والتسلسل الهرمي لها مع دراسة أثره في زيادة فعالية المنظمات.

ففي الشكل الموالي نلاحظ في المحور العمودي الانتقال من التناول العقلاني إلى التناول الاجتماعي في تفسير وفهم الظواهر التنظيمية، حيث أن التناول الاجتماعي يبحث في كيفية تحقيق اتفاق حول الإنتاج نتيجة الديناميكية التي تخلقها الدافعية والرضا لدى العمال وبالمقابل نجد التناول العقلاني موجه نحو النتائج التقنية والاقتصادية فقط.

أما المحور الأفقي فقد أظهر الانتقال من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، حيث يتوجه النسق المغلق إلى حل المشاكل الداخلية للتنظيم فقط في حين يتجه النسق المفتوح-



والذي ظهر منذ 1960- إلى التكيف مع المحيط الخارجي سواء كان اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا، وببساطة يمكن القول أن دعاة النسق المغلق لم يهتموا بالبيئة الخارجية للمنظمة في حين يركز دعاة النسق المفتوح على ضبط وتكييف العلاقات مع المحيط الخارجي مهما كانت طبيعته.

أولا: مراحل تطور الفكر التنظيمي:

لقد مر تطور الفكر التنظيمي بمراحل متفاوتة التأثير على المنظمة وذلك بالانتقال في كل مرحلة من التركيز على جزئية تنظيمية إلى التركيز على جزئية أعمق، وهذا بغرض الوصول إلى التفسير الصحيح للظواهر التنظيمية وحل المشكلات التي كانت تستجد في كل مرحلة، وفيما يلي تقسيم لمراحل تطور النظرية التنظيمية :

1- المرحلة الأولى: من 1900 إلى 1930: زيادة الإنتاجية واستخدام الأسلوب العلمي.

تميزت هذه المرحلة بمجموعة من السمات التي فرضتها طبيعة المرحلة التاريخية، حيث أن:

- أغلب منظريها كانوا مهندسين وممارسين إداريين- تايلور، فايول، فورد...

- استخدموا أسلوب الهندسة من أجل التنظيم والإنتاج الفعال من جهة كما اعتمدوا مبدأي القوة والإجبار كأسلوب للتطوير باعتبار أن العامل كسول ولا بد له من الرقابة الصارمة والشديدة.

- مرت هذه المرحلة بحقتين حيث قامت الأولى على التقسيم التقني للعمل والثانية على التقسيم الإداري للعمل.

2- المرحلة الثانية من 1930 إلى 1960 تحفيز الأفراد.

- توافق هذه المرحلة ظهور مدرسة العلاقات الإنسانية والمدرسة السلوكية.
- ظهور الفكر السلوكي الذي انتقل من علوم الهندسة إلى العلوم الإنسانية.
- محاولة التركيز على الجانب الإنساني خاصة العلاقات الإنسانية في بيئة العمل وحاجات ودوافع العمال من أجل إيجاد الحلول المثلى للمشكلات التنظيمية.
- لقد تم قطع شوط كبير في تطور التنظيمات بالتخلي عن المسلمات التقنية والتأكيد على المسلمات البشرية كجوهر للتنظيمات الصناعية والإدارية.
- لقد بقيت مدرسة العلاقات الإنسانية تحت التناول الاجتماعي لكنها من جهة أخرى تعمل في إطار الأنساق المغلقة وقد مثلت لفترة طويلة أساساً متيناً لنظريات التنظيم.

3- المرحلة الثالثة من 1960 إلى 1980: تكييف هياكل التنظيم.

- الانتقال من الفكر الإداري إلى الفكر التنظيمي.
- ظهور مدارس جديدة حاولت التوفيق بين الاتجاهين السلوكي والكلاسيكي وهي مدرسة اتخاذ القرارات، مدرسة الموقف ومدرسة التحليل الاستراتيجي.
- ارتكز البحث في هذه المرحلة على محاولة فهم المواقف التي تواجه التنظيم بهدف إيجاد الحلول المناسبة تبعاً لمبدأ الواقعية والابتعاد عن المثالية.
- مقارنة الواقع التنظيمي بالظروف البيئية المحيطة بهدف تحديد حالات الثبات والتغير فيه قصد اتخاذ القرارات الحاسمة.

- التركيز على أن المنظمة وحدة متكاملة وجزء فرعي من أجزاء أخرى تتفاعل مع بعضها البعض وترتبط بعلاقات تبادلية تعتبر ضرورية لبقاء واستمرار البناء التنظيمي.

- العمل على تطوير أنظمة الاتصالات المعمول بها والاستعانة بالتنظيمات غير الرسمية والتركيز على القيادة ودعمها.

- التأكيد على ضرورة إيجاد طريقة للتنسيق وتحقيق الفوائد المتبادلة مع المحيط الخارجي سواء كان أفرادا أو منظمات.

- ساهمت مدرسة الأنساق بشكل كبير وفعال في فعالية التنظيمات من خلال تأكيدها على التداخل بين الأجزاء وكذلك العلاقة بين التنظيم ومحيطه وكذا العلاقة بين المتغيرات السلوكية والفنية وبالتالي قدمت تصورا واضحا لمدى التداخل بين الجوانب الرسمية وغير الرسمية.

- لقد خرجت هذه المرحلة عن المعتاد بالإقرار بضرورة الاعتراف والتعامل مع النزاعات العمالية والرضا عن العمل بالابتعاد عن فلسفة التوازن بين العمال والإدارة.

4- المرحلة الرابعة من 1980 إلى 1990: تعبئة القوى العاملة.

- اتسمت هذه المرحلة بالتناول الاجتماعي للتنظيم ونادت بمبادئ جديدة تقوم على التسيير بالمشاركة وإشراك العمال في مشروع المؤسسة.

- الرجوع إلى العنصر البشري واعتباره فاعلا اجتماعيا له مواطن قوة ومواطن ضعف وهي مكانة مهمة -حسبهم- في نسق مفتوح ينشط في محيط اجتماعي وتقني معقد.

- دخول مفهوم التخطيط للموارد البشرية حيز التنفيذ حيث لعب دورا هاما في تحديد الاتجاهات التدريبية والوظيفية.

- استخدام مفهوم التخطيط الاستراتيجي للإدارة حيث أخذت عمليات توزيع الموارد البشرية طابعا علميا يستند على التوافق بين القدرات البشرية والواجبات الوظيفية وهو ما سهل إيجاد الحلول للمشاكل الإدارية.

- تركيز المدراء على الاهتمام بتطوير العلاقات الإنسانية الفردية والجماعية واستخدام أساليب حديثة كالمشاركة في اتخاذ القرارات وهو ما ساهم في خلق ثقافة تنظيمية جديدة تؤسس للولاء والانتماء للمنظمة ليس فقط وقت العمل بها لكن مدى الحياة وهو ما وثقته الإدارة اليابانية بهذا الصدد.

5- المرحلة الخامسة: الفكر التنظيمي والتحديات منذ 1990 إلى يومنا هذا.

- تركزت جهود التطوير خلال هذه المرحلة على تحقيق التنمية الإدارية الناجحة من خلال البناء التنظيمي السليم.

- إن المنافسة العالمية فرضت على المنظمة في هذه المرحلة تحديد أساليب دقيقة للوصول للأهداف المنشودة بيسر وبأقل التكاليف.

- التحديث المستمر لكل أساليب التسيير خاصة وأن الانفتاح العالمي يتيح ذلك من خلال تطور أنماط وأشكال الاتصالات عبر شبكة المعلومات العالمية.